

الفكر القومي في كسوع

نشوء القومية في أوروبا :

دعت كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول إلى سماع سلسلة المحاضرات المسماة التي يلقيها بقاعة الجمعية الجغرافية الملكية الأستاذ ساطع المصري الأستاذ الزائر بمعهد التربية العالي للمعلمين ، والمستشار الثقافي لجامعة الدول العربية ؛ وموضوع هذه السلسلة « الفكر القومي منذ أوائل القرن التاسع عشر » وهي ست محاضرات ، ألقى يوم السبت أولها ، وموضوعها « نشوء الفكر القومي في أوروبا والانتقالات السياسية التي نجمت عنها » وقد تحدث الأستاذ في هذه المحاضرة عن الانتقالات السياسية في خريطة أوروبا منذ العقد الثاني من القرن التاسع عشر إلى العقد الثاني من القرن العشرين ، فقال إن أهم هذه الانتقالات زوال الدولة العثمانية والامبراطورية النمساوية وحلول الدول الصغيرة محلها ، وحدث عكس ذلك في إيطاليا إذ اتحدت الدول الثمان وكونت لإيطاليا الحديثة ، كما اتحدت ٣٩ دولة على الأراضي الألمانية وكونت الدولة الألمانية ، وانفصلت بلجيكا عن هولاندة ، كما انفصلت النرويج عن السويد ، وتكون على سواحل البلطيق أربع دول جديدة ، وهكذا تبدلت أوروبا ماعدا إنجلترا وفرنسا

حلت أناهيد له شعرها وانطرحت تبكي وتستنفر
ونسأل الإله في ذلة لو غدها من أمسها بطهر
فيخلد الحب على جفنها وينعأوى في قلبها النكر
فال عنها هبيل قاتلا والرفق من جبينه بقطر
حبك يا هذى كما شئت قلب السماوات به أجدر
واندلمت نار تلوى بها

ملء البوادي عاصف مرمر
وغل في صدر الملا حاملا روح أناهيد اللظى المسمر
وشم في السماء قبل الضحى على البرايا كوكب نير
تلك أناهيد لها من عل عين على أهل الهوى تسهر

سقيس معلوف
من المصبة الأندلسية

وروسيا وأسبانيا . وكان العامل الأصلي في كل هذا التبدل فكرة القومية الناشئة من شعور الأمم بالروابط المختلفة ، فتجمع المؤتلف ، وتفرق المختلف ؛ وكانت النتيجة أن قامت الدولة على الفكرة القومية التي شرعها الشعب ، بخلاف الدول القديمة التي كانت تتكون بحسب قوة اللوك ومقدار بسط سلطانهم وما ينشأ عن معاهداتهم ومصاهراتهم ، ولم يكن للشعوب حساب في ذلك لأن اللوك كانوا يتصرفون تصرف المالك الستمد من التفويض الإلهي . ودل الأستاذ على أن الدول الجديدة لم تقم نتيجة للحروب بل كان منشؤها الفكرة القومية - دلال على ذلك باستعراض الحوادث التاريخية ومقارنته نشأة الدول بقيام الحروب . وختم الأستاذ ساطع المصري محاضرته القيمة بالإشارة إلى ما يقوله المفكرون في أوروبا من أن حركة القوميات انتهت بانتهاء القرن التاسع عشر ، ولكن الذين يرددون هذا القول عندنا في الشرق يخطئون ، لأن عصر القوميات إذا كان قد انتهى في الغرب لبلوغ حركات القومية مراميها فإنه يبدأ في الشرق لأن ظروفه تقتضي ذلك .

الفنان بين المعمور واليهبوط :

أراد الأستاذ توفيق الحكيم أن يبرر مسلكه الأخير في الكتابة الذي نعيمه عليه في عدد مضى من الرسالة ، فأدار الكلام في مقال بأخبار اليوم حول قضية من قضايا الأدب والفن أثارها بهذا السؤال : « هل يجب على الفنان أن يهبط إلى الجمهور أو أن يصعد إليه الجمهور ؟ » وقد سار بطبيعة الحال في معالجة هذه القضية إلى جانب الهابط إلى الجمهور ، محاولا أن يؤيد مذهبه بالتماس المثال « عند المبدع الأعظم لهذا الكون » لأنه تعالى لم ينتظر من الناس أن يصعدوا إليه ، بل رأى أن يدنو منهم برسائله ، لا أن يتركهم يصعدون إليها من أرضهم ، فأرسل إليهم الرسل . وبني على ذلك أن الفنان هو الذي يجب أن يهبط إلى الجمهور .

لا ياسيدي ، إن الله أنزل رسالته إلى الناس ، لأنه إله لايزاء الناس ولا يخالطونه ولا يمايشونه ، ولكن الرسل الذين يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق تلقوا رسالات الله ولم يهبطوا بها إلى الجمهور بل رفعوا الجمهور إليها ، وما علمنا أن أحدا منهم أسف وابتذل ، وهذا نبينا محمد قد أدى رسالته ببلاغة عالية فتح بها آفاقا في الأدب الرفيع لم يلحقه فيها لاحق . مرة أخرى : لا ياسيدي ، إن المثال الذي أتيت به إنما هو

تحسين حال قرةها وتقدمها في مضمار الفن وإن لأرجو أن يتاح
لهذه الفرق أن تأخذ « ركننا » في الإذاعة ، فلا يقل هذا الركن
فائدة — إن لم يزد — عن غيره من « أركان » الإذاعة .
نشير فلسطين :

سمنا في « حفلة المروبة » النشيد المقترح للجامعة العربية ،
فاذا هو — من حيث التأليف ومن حيث التلحين — شيء
كثيره ، من الأشياء التي نسميها والتي يسمونها أناشيد وطنية
وحماسية ، وليس فيها من الوطنية غير ألفاظ كالحرم ، وليس فيها من
الحماسة إلا أصوات ترتفع حتى تصك الأسماع . وقد أحسنت
الإدارة الثقافية بتجربته قبل إقراره ، وما إخالها إلا قد أقتنعت
بأن نشيدا كهذا لا يليق بالجامعة العربية .

ثم سمنا نشيدا ختمت به الحفلة فكان أحسن ختام ، هو
« نشيد الجهاد العربي لفلسطين » وقد وفق قسم الموسيقى بالجامعة
الشعبية في تلحينه ، وأداه فريق الأناشيد أداء حسنا ، أما التأليف
فلا أحدئك عند حتى ترى شيئا منه ، أوله :

قد بدأنا الكفاح وشحذنا الرماح
وأمتشقنا السلاح وسلاطنا البطاح
بجيوش العرب

نحن العرب نحن العرب
ومنه :

سترى تل أبيب حثفها عن قريب
يوم تصلي اللهب والدمار الرهيب
في جحيم العرب

نحن العرب نحن العرب
ومنه :

ونصوب الصليب والحلال الحبيب
وسلام الشعوب من مثبى الحروب
وخصوم العرب

نحن العرب نحن العرب

فلا ترى فيه التهاويل و (الكتيهات) المهودة ، وإنما
يستمد قوته من طبيعته ومن تمبيره عن الحال الواقعة . وقد قدمه
مؤلفه الأستاذ حسن أحمد باكثير إلى الجامعة العربية ، فاستحسنته
ودفعته إلى الجامعة الشعبية لتلحينه .

سلم درجته للصمود وليس به دركات للهبوط ..
على أن الهبوط الذي نعييه ليس هو الدنو من أفهام الناس
ومداركهم لتأدية رسالة ، وإنما هو أن يستهلك الكاتب طاقته
ويستنفد جهده ، ثم يدور ولا يرى له طحن ... فيتستر بالتساية
والتأمية ، ويدعى أنه يسير للدنو من الناس ، وإنما هو في
عمله يسير !

الفنور في الجامعة الشعبية :

عند ما لبث دعوة الجامعة الشعبية لحضور احتفالها باستقبال
هيئة اللجنة الثقافية للجامعة العربية يوم الخميس كان أكبر همي أن أسمع
النشيد المقترح للجامعة العربية الذي طلب إلى قسم الموسيقى بالجامعة
الشعبية تلحينه ، فدعت هذه الجامعة هيئة اللجنة الثقافية إلى
سماعه من فريق الأغاني والأناشيد بها .

ولكن كان هذا النشيد أقل شأنا من سائر ما سمعنا وما رأينا
في الجامعة الشعبية ، رأينا بقسم الرسم والحفر جماعات من أفراد
الشعب ، هناك كور وهناك إناث ، قد أقبلوا على العمل في هذين
الفنين بدافع ميولهم وطبايعهم الفنية ، يشبهون وينمون فيه مواهبهم
في المساء بعد أن فرغوا من مشاغل حياتهم في أثناء النهار ، ثم
دلفنا إلى قاعة المسرح ، فما أخذنا بها أما كننا حتى ابتدأت « حفلة
المروبة » كما سميتها بحق إدارة الجامعة الشعبية ، فسمعنا موسيقى
وأناشيد مختلفة : سورية وعراقية ومصرية ، وشاهدنا تمثيلا
غنائيا ، قام بكل ذلك طلبة مختلطون من أفراد الشعب ظهوروا على
طبيعتهم في ثيابهم العادية ، أسمونا أصواتا جميلة وألحانا عذبة ،
فكانوا لسانا معبرا عن طبيعة هذا الشعب الفنان .

ولقد تأملت هؤلاء كما وقفت أتأمل من زرعناهم في قسم الرسم
والحفر ، ثم تخيلتهم في غير هذا المكان لو لم تنجح لهم هذه الفرص ،
فذهب خيالي بهم إلى القاهي وغيرها من أماكن الضياع ، ثم
رجع بهم إلى حيث هم الآن ينتظمون في دراسات توافق أمزجتهم
ويتعهدهم المدرسون والعلمون . فقرت عيني بهم وطابت نفسي بما
يسر لهؤلاء المواطنين ورجوت أن يبدر للكثيرين من أمثالهم .
وقد انشعب في التفكير ، لما أطرنا فريق الأغاني والأناشيد
بفنون من الموسيقى والتمثيل والفناء ، فرأيت أن أقترح على الجامعة
الشعبية أن تعمل على تنظيم حفلات تمثيلية غنائية يحضرها أقرباء
الطلبة ومعارفهم وغيرهم من الجمهور مقابل أجور قليلة ، فتحقق
بهذا فائدتين : إمتاع الناس بالفن ، واجتناء أرباح تستعين بها على

الرسالة الثقافية للجامعة العربية :

اتى الأستاذ سعيد فهم وكيل الإدارة الثقافية بالجامعة العربية يوم الأربعاء بنادى جبهة مصر محاضرة عنوانها : هل أدت الجامعة العربية رسالتها الثقافية « بدأها بإجمال الجواب عن هذا السؤال فقال إن الجامعة العربية نصبت سلم الثقافة المكون من مائة درجة وارتقت منه خمس درجات ، وهى سائرة فى طريقها لا رتقاء الدرجات الباقية .

ثم عرض لتفصيل ذلك فقال : من أهم ما قامت به الإدارة الثقافية تكوين قسم إحياء المخطوطات العربية ، وقد جلبت أحدث الأجهزة الفنية من أمريكا لتصوير المخطوطات النادرة والقيمة على أفلام صغيرة . وقد أرسلت فى صيف سنة ١٩٤٦ بعثة إلى سورية ولبنان فصورتا ما رآه جديراً بالتصوير من الكتب . والتصوير يجرى الآن فى مصر ، وسترسل البعثات إلى البلاد العربية المختلفة لتصوير ما فى مكتباتها من المخطوطات . وبما قامت به الإدارة لتشجيع التأليف والترجمة ، أن اختارت موضوعين للمسابقة فى تأليف كتاب فى كل منهما خلال هذه السنة ، أحدهما فى تاريخ الأندلس من فتح العرب لها إلى خروجهم منها ، والآخر فى تاريخ البلاد العربية من سقوط بغداد إلى عصر النهضة الحديثة ، وخصصت جائزة لكل منهما قدرها ٥٠٠ جنيه ، وخصصت أيضاً ٢٠٠٠ جنيه لتأليف كتاب مفصل فى جغرافية العالم العربى تنفيذاً لتوصية المؤتمر الثقافى الأول . أما فى الترجمة فهى تعمل فى اختيار الكتب التى تحسن ترجمتها ، وستختار اللجنة الثقافية عشرة كتب لترجم على نفقة الأمانة العامة فى هذا العام وسيوزع نحو مائتى كتاب على دول الجامعة لتسليم كل منها بطبع قسم من هذه الكتب . وقال الأستاذ إن الإدارة الثقافية تعزم استخدام الإذاعة والسينما والمصاحفة فى نشر الثقافة العربية ، فتذيع من محطات المواسم العربية أحداث ثقافية وحفلات موسيقية وقصصاً تمثيلية وأنشيد ترمى إلى تقوية الروح القومية العربية ؛ وستشجع الأفلام السينمائية التى تحقق هذه الغاية ، وتساعد على أخذ أفلام فى البلاد العربية لتعريف بعضها ببعض ، وتساهم فى وضع أفلام ثقافية ، وفى ترجمة نطق الأفلام الثقافية العربية إلى العربية ؛ وقد قورت استكتاب بعض كبار الكتاب فى مختلف البلاد العربية مقالات فى الشؤون الثقافية ، لتشر فى أهم الصحف العربية ؛ وستوفد خمسة عشر أستاذاً إلى مختلف المواسم العربية للمحاضرة فى أهم الموضوعات التى تشمل بال العالم العربى .

وبعد أن تحدث الأستاذ المحاضر عن المؤتمر الثقافى الذى عقد بلبنان فى الصيف الماضى ، قال إنه يؤمل أن يعقد المؤتمر الثقافى الثانى بالاسكندرية فى أواخر الصيف القادم .

وقد عقب الأستاذ سعد اللبان على هذه المحاضرة ، فقال بأن الجامعة العربية يجب أن تخرج ، فى تأدية رسالتها الثقافية ، عن النطاق الحكومى ، فلا تقتصر على الرجال الرسميين ، بل يجب أن تنجس أيضاً إلى غيرهم من رجال العلم والأدب ، كما يجب ألا تقتصر اهتمامها الثقافى على دول الجامعة الرسمية ، بل يجب أن توجه أكبر عنايتها إلى شمال أفريقيا الذى يكاد يقطع الاستعمار عن مصادر الثقافة العربية الشرقية . ونبه الأستاذ سعد على أن البحث عن المخطوطات العربية فى المكتبات الغربية أهم من البحث عنها فى المكتبات العربية ، وقال إنه يرجو أن يكون الغرض من تصوير هذه المخطوطات طبوعاً ونشرها لا مجرد تسجيلها على أفلام العربية نصارع :

لا أشك فى أن الحكومة جادة فى فرض استعمال اللغة العربية فى مكاتبها وفى إلزام أصحاب المحال التجارية والصناعية بكتابة أسمائها بها . وقد أذاعت أخيراً وزارة الشؤون الاجتماعية على هؤلاء تلفت نظرم إلى ما يقضى به القانون على من يكتب اسم عله بلغة أجنبية دون أن يضع إلى جانبه اسمه باللغة العربية على ألا تكون الأجنبية أكثر بروزاً من العربية ، والقانون يقضى على من يخالف ذلك بالحبس مدة لا تزيد على سنة وغرامة لا تزيد على خمسين جنها أو بإحدى هاتين العقوبتين

لا أشك فى أن الحكومة جادة فى تنفيذ كل ذلك ، ولكنى لا أدري لماذا تستمر ، فى أختام بريدها ، على كتابة التاريخ بلغة أجنبية دون كتابته بالعربية !

إننى أدل وزارة الشؤون الاجتماعية على مصلحة البريد لتلفت نظرها إلى ذلك القانون وإلى ضرورة تطبيقه ... كما لا أرى بأساً فى أن أكون مرشداً لها فى غير ذلك ، فأدلهما أيضاً على شركة المادى ، لتلفت نظرها إلى وجوب تغيير كتابة أسماء شوارع هذه الضاحية الجميلة ، بحيث تكتب بالعربية إلى جانب الأتجليزية التى هى مكتوبة بها ، لأن المادى جزء من القاهرة عاصمة المروبة أكتب ذلك على ذكر المقال النبى الذى كتبه فى الرسالة الأستاذ ودبى فلسطين بمنوان « اللغة العربية نصارع » وإنى مطمئن معه إلى ظفرها فى النهاية . « العباسى »